أفكار
AFKAR

2025 نيسان | العـــدد 435
ثقافية شهرية -تصدر عن وزارة الثقافة منذ 1966
المـمـلـكـة الأردنـيـة الـهـاشـمـيـة

ملف العدد

تعزيزُ الثقافة البيئية؛
نحو وعيٍّ مُستدام

من مواد الملف:
الحفاظُ على البيئة
وحمايتها في الإسلام

أليست الثقافةُ
البيئيّةُ عنصرًا
أساسيًّا من ثقافة
الشعوب المعاصرة؟

435

رئيس التحرير / أ. سميحة خريس
مدير التحرير / د. مخلد بركات
سكرتيرة التحرير / أ. منال حمدي

هيئة التحرير / د. إبراهيم بدران
/ د. إبراهيم خليل
/ أ. أكرم الزعبي
/ د. راشد عيسى
/ د. هاشم مناع

الإخراج الفنّي / حنان الطوس

لوحتا الغلافين الأمامي والخلفي/ الفنان المصري الراحل محمود سعيد

ملف العدد

تعزيزُ الثقافة البيئية؛ نحو وعيٍّ مُستدام

إعداد وتقديم:
د. أيوب أبو دية

المواد المنشورة في هذا العدد تعبّر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزراة الثقافة الأردنية.

مفتتح 4

4 اللغةُ العربيّةُ وشخصيّةُ الأمّة / د. راشد عيسى

ملف العدد 6

7 تقديم: الثقافةُ البيئيّةُ؛ وتعزيزها في المجتمع/ د. أيوب أبو دية
9 "الحفاظُ على البيئة وحمايتها في الإسلام"/ د. أحمد إسماعيل راشد
14 "الثقافةُ البيئيّةُ في الأردن/ مدينة الزرقاء أنموذجًا"/ د. أيمن العمري
20 "نحن والثقافة البيئية"/ محمد أحمد الفيلابي
26 "الثقافةُ البيئيّةُ المعاصرة"/ د. نزار أبو جابر
31 "تعزيزُ الثقافة البيئيّة: نحو وعيٍّ مستدامٍ لحماية كوكبنا"/ سمر "علاء الدين" الفتياني
37 أليست الثقافةُ البيئيّةُ عنصرًا أساسيًّا من ثقافة الشعوب المعاصرة؟ / د. أيوب أبودية

ملف العدد

• تعزيزُ الثقافة البيئية؛ نحو وعيٍّ مُستدام •

- د. أيوب أبودية
- د. أحمد إسماعيل راشد
- د. أيمن العمري
- محمد أحمد الفيلابي
- د. نزار أبو جابر
- سمر "علاء الدين" الفتياني
- د.أيوب أبودية

الثقافةُ البيئيّةُ في الأردن / مدينة الزرقاء أنموذجًا

د. أيمن العمري*

عند استعراض أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر التي تبنتها الأمم المتحدة، يتضح أنَّ هنالك سبعةَ أهداف منها ما يتعلق بالبيئة. فيمثل الهدف السادس الحفاظ على مصادر المياه النظيفة وتجنب هدرها لندرتها. ويمثل الهدف السابع تشجيع الطاقة النظيفة المستدامة وأساليب كفاءة الطاقة. ويمثل الهدف الحادي عشر في جعل المدن والمستوطنات البشرية آمنةً للجميع وقادرةً على الصمود ومستدامةً من خلال الحفاظ على نظافة الهواء. ويمثل الهدف الثاني عشر في جعل الاستهلاك والإنتاج هما المسؤولان من خلال تشجيعهما على إعادة تدوير الورق والبلاستيك والزجاج والألمنيوم. ويركّز الهدف الثالث عشر على العمل المُناخي من خلال تثقيف الشباب لوضعهم مبكرًا في مسارٍ مستدام. بينما يركّز الهدف الرابع عشر على الحياة تحت الماء من خلال تجنب استخدام الأكياس البلاستيكية للحفاظ على سلامة المحيطات ونظافتها. ويتناول الهدف الخامس عشر الحياة في البرِّ من خلال التشجيع على زراعة الأشجار للإسهام في حماية البيئة (أهداف التنمية المستدامة، الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة).

* مدير دائرة البيئة/ بلدية الزرقاء

إنَّ أهــداف التنمية المســتدامة المتعلقــة بالبيئة تصل نســبتها لحوالي (41%) مــن مجموع أهداف الأمــم المتحدة. وهذه النســبة إن دلّــت على شيء فإنَّها تــدلُّ على أهمية البيئة عــلى الأجندة الأممية والعالمية. ولا شــك أنَّ مســؤولية الحفاظ على البيئة باتت مسؤولية كل إنسان على هذا الكوكب. ولا شك أيضًــا أنَّ هذه الأهمية لم تأتِ مــن فراغ، بل جاءت نتيجة الآثار السلبية التي باتت واضحةً كل الوضوح. ولعلَّ من أبرزها الاحتباس الحراري وارتفاع معدلات درجات الحــرارة عالميًّا، والتصحّر وارتفاع منســوب مياه ســطح البحر، وذوبان الجليد في القطبين، وهي ما تُعرف بقضايا التغــيّر المُناخي. يتناول هذا المقال واقــع الثقافــة البيئية لمــا لها من ارتبــاط وثيق مع سلوك الفرد والمجتمع تجاه البيئة المحيطة، وما لذلك الســلوك من أثر ســواء كان إيجابيًّا في حماية البيئة وصونها، أو كان سلبيًّا في إحداث الأضرار عليها.

مفهومُ الثقافة البيئيّة

تتكون الثقافة البيئية من مصطلحين أو مفهومين، الأول: مفهوم الثقافة. والثاني: مفهوم البيئة. فالثقافة بمفهومهــا الواســع تُعبّر عن مجموعــة من المعارف والقيم التي تسهم العلوم والعادات والأديان والفكر في تكوينها لــدى الفرد والمجتمع. والثقافة تعبّر أيضًا عــن مجموعة مــن الخبرات والمهارات التي تســهم التجــارب العملية والتدريــب في تكوينها لدى الفرد والمجتمع. إنَّ الثقافة بكونها كل ذلك النسيج المعرفي والقيمــي المُعقّــد تُنتــج الســلوكيات والاتجاهات والمشاعر عند الإنسان.

أمَّا مفهوم البيئة، فيمكن تعريفه إجرائيًّا بأنَّه كل ما يحيط بنا. فالبيئة تعكــس المحيط بكل مكوناته؛ الهواء والــتراب والماء والكائنــات الحية والجمادات والنظم البيئية المتنوعة. وبذلك يمكن تعريف الثقافة البيئيــة بأنَّها مجموعــة المعارف والقيــم والخبرات والمهارات التي يكتسبها الفرد والمجتمع والمرتبطة في مجال البيئة المحيطة بهما.

الثقافةُ والتوعيةُ البيئيّة

تســعى التوعية البيئية بشكل عام لتحقيق عدة أهــداف مهمّة منها: بنــاء الوعي البيئــي وتطويره لدى الأفراد والمجتمع. تعزيز المســؤولية الاجتماعية لدى الأفراد والمؤسســات وتحفيزهم على المشــاركة الفاعلة في صــون البيئة وحمايتهــا. تطوير المهارات والممارسات اللازمة لاستخدام الموارد الطبيعية بشكل يضمن التنمية المستدامة. تعديل وتغيير السلوكيات والممارســات الســلبية التي تضرُّ بالبيئة للإســهام في تحقيق التوازن الســليم بين الإنسان والنظم البيئية. إنَّ تلــك الأهداف للتوعية البيئيــة لا يمكن أن تتأتى إلا مــن خلال ثقافة بيئيــة مجتمعية داعمة لحماية البيئة.

واقعُ الثقافة البيئيّة في مدينة الزرقاء

يُطلــق على مدينة الزرقاء المدينة الفسيفســائية نظــرًا لضمّها عائلات مــن جميع مناطــق المملكة. جاءت تلك العائلات وســكنت في المدينة طلبًا للرزق والاســتقرار والأمان. وأســهمت في تأســيس المدينة وتطوّرهــا حتــى غــدت مدينــةً تجاريــةً وصناعية

وعسـكرية كبيرة. فالمدينة تُعدُّ- فعـلاً- عينةً مُمثلة لسكان المملكة كافة، وهذه الميزة في التنوع السكاني لا شـك أكسـبتها تنوّعًا ثقافيًّا. وربما تسـاعدنا هذه الميـزة، عندما نتنـاول واقع الثقافة البيئية لسـكان مدينـة الزرقاء كنمـوذج، من معرفة واقـع الثقافة البيئية لسكان المملكة بشكل عام.

لقد قُدّر لي في السنوات الخمس الماضية أن أشرف على دائرة البيئة في بلدية الزرقاء. ذلك الموقع الوظيفي الذي سـمح لي بالتعامل المباشر مـع ثقافة المجتمع المحلي في مجال البيئة. لقد أطلقنا في دائرة البيئة من باب الحسِّ بالمسـؤولية، مبادرة التوعية البيئية التي اسـتهدفنا بها طلبة مدارس التربية والتعليم لمنطقة الزرقـاء الأولى. لقد كانت تجربةً فريـدةً ورائدة في مجال التوعيـة البيئية. وربما يمكنني القول إنَّ ثقافة المجتمع البيئية لسكان مدينة الزرقاء يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة مستويات إن جاز لي التعبير:

المسـتوى الأول: وهـو المسـتوى الـذي يعكس ثقافة شريحة المتعلمين والطلبة والشـباب والشابات في المدينـة، ويمكـن أن يُضـاف إليهم فئـة المثقفين والمعلمين وأسـاتذة الجامعات والإعلاميين والنقابيين والناشـطين داخل المجتمع المحلي. إنَّ الثقافة البيئية لتلـك الشريحـة – ومن خلال تعاملنـا المباشر معها سـواء ضمن مبادرة التوعيـة البيئية أو ضمن برامج تدريب طلبة الجامعات داخل بلدية الزرقاء - كانت تحتوي معظـم المعارف والقيـم والمفاهيم المتعلقة بالبيئـة. وأنَّ المسـتوى الثقافي لتلـك الشريحة يمثّل وعيًّا بيئيًّـا متكامـلًا واتّجاهًا إيجابيًّـا نحو الحفاظ على مكوّنـات البيئة وصون المصادر الطبيعية. ولعلَّ الثقافة البيئيـة لهذه الشريحة جـاءت نتيجة طرح المسـاقات التعليمية والمناهج التدريسـية المتعلقة بالبيئة، التي استهدفت طلبة المدارس والجامعات.

المسـتوى الثـاني: وهو المسـتوى الـذي يعكس ثقافـة شريحة كبيرة من سـكان المدينة من مختلف المهـن والأعمال والحرفيين وأصحاب المزارع والمواشي والعـمّال. إنَّ الثقافة البيئية لهـذه الشريحة – ومن خـلال موقعنا الوظيفـي وتعاملنا معهـا – احتوت جزءًا بسـيطًا من المعارف والقيم والمفاهيم المتعلقة بالبيئة. وأنَّ المسـتوى الثقافي لتلك الشريحة لا يمثّل وعيًّا بيئيًّا متكاملاً أو اتجاهًا إيجابيًّا نحو الحفاظ على مكونات البيئة وصـون المصادر الطبيعية كما هو في المسـتوى الأول. ولعلَّ الثقافة البيئية لهذه الشريحة جـاءت نتيجة جهود الإعلام الرسـمي الذي يقدّم في بعض الأحيان رسـائلَ توعويّة متعلقـة بالبيئة، التي تستهدف رفع الوعي العام للمواطنين.

المستوى الثالث: وهو المستوى الذي يعكس ثقافة شريحـة محدودة من سـكان المدينة مـن مختلف الأعمار. حيث كانت الثقافـة البيئية لهذه الشريحة – ومن خلال ملاحظاتنـا وتعاملنا معها – لا تحتوي عـلى المعارف والقيم والمفاهيم المتعلقة بالبيئة. وأنَّ المسـتوى الثقافي لتلـك الشريحة لا يمثّـل وعيًّا بيئيًّا متكاملاً وإنَّما اتّجاهًا سلبيًّا نحو الحفاظ على مكونات البيئة وصون المصادر الطبيعيـة وثقافتها، ويختلف عن المسـتويين الأول والثـاني. ولعلَّ غيـاب الثقافة البيئيـة لهذه الشريحـة كان نتيجـة الجهل أو عدم الاهتمام، وربمـا يكون نتيجة عـدم الاقتناع بمخاطر القضايا البيئية في بعض الحالات.

الأضرارُ البيئيّة الناتجة عن غياب الثقافة حولها

إنَّ معظم الأضرار التي تلحق بالبيئة تكون ناتجةً عن سببين بشكل عام، الأول: غياب الثقافة البيئية الداعمة لصون بيئتنا المحيطة وحمايتها. والثاني: المصلحة الآنية القصيرة النظر سواء كانت للأفراد أو للمؤسسات أو حتى للدول. ولقد تناولنا السبب الأول بإسهاب خلال تناول الثقافة البيئية وواقعها، لذلك سوف أقف هنا عند السبب الثاني المتعلق بالمصلحة الآنية القصيرة النظر لتركيز الضوء عليها قليلاً. يُقصد بالمصلحة الآنية القصيرة النظر عند الأفراد بكونها تعكس نظرة محدودة لرغبتهم في توفير الجهد والوقت والمال حتى لو أدى ذلك إلى أضرار بيئية أو تلوث. ومن الأمثلة على ذلك الصيد الجائر للطيور والحيوانات البرية وخاصةً في مواسم التزاوج والتكاثر، وأيضًا إلقاء النفايات في الشوارع وطرح الطمم والأنقاض ومخلفات البناء والهدم عشوائيًّا...

صحيحٌ أنَّ مثل تلك السلوكيات عند الأفراد قد تعكس نقصًا في الوعي والثقافة البيئية من جانب، ولكنَّها أيضًا تعكس نظرةً محدودةً ومصلحةً آنيةً قصيرة من جانب آخر. وفي بعض الحالات عندما كانت أجهزة الرقابة في البلدية والجهات المعنية تقوم بضبط المخالفات البيئية، كانت تكتشف أنَّ الشخص المخالف يمتلك وعيًّا بيئيًّا ومعرفةً بالقوانين والأنظمة. إنَّ الوعي والثقافة والمعرفة لا تمنع من حدوث المخالفات أو الجرائم في جميع المجالات؛ وإنَّما تقلّل وتخفّف منها. والبيئة ليست استثناءً من تلك المجالات، فجميع سائقي المركبات يدركون قانون السير تمامًا، ولكنَّهم يرتكبون المخالفات التي قد تُلحق الأذى بهم أو بالآخرين. فالمعرفة والوعي والثقافة البيئية لا تكفي في الحفاظ على مكونات البيئة إذا لم يرافق ذلك الرقابة والمصلحة العامة.

ويُقصد بالمصلحة الآنية القصيرة النظر عند المؤسسات أنَّها تعكس نظرة محدودة أيضًا لرغبتها في توفير الجهد والوقت والمال حتى لو أدى ذلك إلى أضرار بيئية أو تلوّث. ومن الأمثلة على ذلك عدم تركيب أنظمة حماية بيئية في المصانع لتخفيف انبعاثات الغازات الدفيئة الملوثة للهواء كون تلك الأنظمة مُكلفة الثمن والصيانة. إنَّ بعض أجهزة الحماية قد يصل ثمنها إلى عدة ملايين من الدنانير، ولعلَّ وحدات استخلاص الكبريت من الغازات الناتجة من عملية تكرار النفط في مصافي البترول تُعدُّ أكبر دليل على ارتفاع كُلف تلك الأجهزة والوحدات. ومن الجدير بالذكر أنَّ (شركة مصفاة البترول الأردنية) قد أدخلت وحدة استخلاص الكبريت للإسهام في تخفيف التلوّث، ولكن يبقى ذلك الإجراءُ غير كافٍ لمنع التلوث نهائيًّا.

ويُقصد بالمصلحة الآنية القصيرة النظر عند الدول بكونها تعكس نظرة محدودة أيضًا لرغبتها في حماية صناعاتها الوطنية وتعزيز مركزها التنافسي في مجال الصناعة والتجارة الدولية حتى لو أدى ذلك إلى أضرار بيئية أو تلوّث. ومن الأمثلة على ذلك امتناع الكثير من الدول عن توقيع المعاهدات والاتفاقيات البيئية الدولية، أو التحفّظ على بعض البنود وغيرها من الأمثلة. ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض الدول الصناعية الكبرى لديها عزوفٌ عن الوفاء بالتزاماتها تجاه البيئة.

تلوّثُ نهر الزرقاء مثال على الأضرار البيئية

يُعدُّ سـيل الزرقاء من روافد نهر الأردن، ويتغذّى من الهضاب المحيطة بعـمان، يبدأ جريان المياه فيه من وادي عمان ب(رأس العين) ويتّجه إلى عين غزال حيث يخرج من هنالك باسـم سيل الزرقاء. ويستمر في جريانه إلى عين الرصيفة ويتّجه شمالاً إلى الزرقاء، ويتغـذّى من الينابيع والأودية الموسـمية في منطقة (السـخنة) مثل (وادي حسـيا، وادي الضليل، وادي القنيّة، ثـم وادي جرش وارميمين) ويصبُّ في (سـدِّ الملك طـلال). ويُقدّر طولـه حـوالي (73) كيلومترًا وعرضه يتراوح (10-7) مترًا. (أبو نواس، 1995).

لقد شهد سـيل الزرقاء ارتفاعًا بمستويات التلوّث لدرجة أنَّه أصبح يهدّد أنماط الحياة سـواء للإنسـان أو الحيـوان أو النبـات. الأمر الذي دفـع بالحكومة الأردنيـة والجهات المعنية ومـن ضمنها وزارة البيئة بالتحرك سريعًا لمعالجـة أخطار التلوث والحدِّ منها. والخـوفُ من ازدياد احتمالية تفشي الأمراض الناتجة عـن التلـوّث في حوض سـيل الزرقاء، دفـع بالمركز الوطنـي للأمـن وإدارة الأزمات باتخـاذ الإجراءات الوقائية مـن خلال إعداد مجموعـة من التوصيات للحـدِّ مـن مخاطر الإصابـة بالأمـراض الناتجة عن تلـوّث المياه في سـيل الزرقـاء. ولقد أصـدر رئيس لجنة الخدمات والبنى التحتية والشؤون الاجتماعية (رئيس الوزراء) مجموعة من المخاطبات الرسمية إلى الـوزارات والجهات المعنية لعقـد اجتماعات دورية لمناقشة أسباب التلوّث في حوض سيل الزرقاء وطرق العلاج. ونتيجة لذلك عُقدت عدة اجتماعات تكلّلت بإعداد مصفوفة الإجراءات الوطنية المطلوبة لتأهيل سـيل الزرقاء وحمايته من التلـوّث من قبل مديرية التفتيـش والرقابة البيئيـة في وزارة البيئة. (العمري، 2024).

إنَّ وصول سـيل الزرقاء إلى مسـتويات عالية من التلوّث عـلى مرِّ العقود يُعدُّ مثالاً صارخًا على غياب الثقافة البيئية، ومثـالاً واضحًا على تغليب المصلحة الآنيـة القصيرة النظـر. بالإضافة إلى ضعـف الرقابة وعـدم تفعيـل التشريعـات البيئية وعـدم تغليظ العقوبـات لردع المخالفـين. وإنَّ محـاولات جميع الجهات المعنيـة حاليًا تأتي من بـاب إنقاذ ما يمكن إنقاذه لسيل الزرقاء وإعادة تأهيله من جديد.

الرؤيا المستقبلية للثقافة البيئية

لتشكيل رؤيا مستقبلية واقعية للثقافة البيئية، لا بدَّ من أخذ عدة أمور بالحسبان، من أبرزها:

أولاً: تطوّر الوعي البيئي العالمي خاصةً مع انتشار وسـائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا والإنترنت والعولمـة، وترابط الوعي العالمـي مع الوعي المحلي للمجتمعـات الوطنيـة عبر الدول التـي من ضمنها المجتمع الأردني.

ثانيًا: انشـغال الأجندات الأمميـة بقضايا البيئة؛ ولعلَّ خـير مثال على ذلك ما تم ذكـره من أهداف للتنمية المستدامة في مقدمة هذا المقال، بالإضافة إلى مؤتمرات قمة المُناخ السنوية COP.

ثالثًا: تخصيص مناهج تدريسـية كاملة متخصّصة بالبيئـة أو جزئية من منهاج العلـوم لتدريس البيئة وقضاياها لطلبة المدارس، وفي المراحل المدرسية كافة؛ مما سيؤدي بالضرورة إلى خلق ثقافة بيئية للمجتمع.

رابعًا: تخصيص مساقات جامعية لتدريس مواد البيئة، بالإضافة إلى وجود تخصّصات مستقلة لدرجة البكالوريوس في علم البيئة.

خامسًا: اهتمام الأردن- قيادةً وحكومةً- بقضايا البيئة وتوقيع الحكومة الاتفاقيات والمعاهدات البيئية والتزامها بتنفيذها.

بالإضافة إلى النقاط السابقة، فإنَّ وزارة البيئة تتبنى برامج توعوية تهدف إلى تعزيز الوعي البيئي لدى المجتمع الأردني. وكذلك تقوم البلديات والمحافظات والإدارة الملكية لحماية البيئة ومؤسسات المجتمع المدني المتخصّصة بالبيئة بدور توعوي ورقابي في المجال البيئي. في المقابل ما زال هنالك ضعفٌ في تعزيز مكونات الثقافة البيئية لدى المجتمع الأردني التي قد تكون فرصًا للتحسين مستقبلاً، من خلال ما يلي:

أولًا: تفعيل المساجد ودور العبادة لتعزيز دورها في بناء الثقافة البيئية خاصةً بكون الأديان تشجع على حماية البيئة.

ثانيًا: تفعيل الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب لتبني رسائل هادفة ومنظمة في تعزيز الثقافة البيئية للمجتمع.

ثالثًا: تفعيل حملات الرقابة لمحاسبة المؤسسات والأفراد المخالفين ضمن عقوبات رادعة وضمن مبدأ (الملوِّث يُغرّم).

عند الأخذ بالاعتبار النقاط المذكورة فإنَّ رؤيتي المستقبلية ستكون أكثر تفاؤلاً في تعزيز ثقافة بيئية إيجابية لدى المجتمع الأردني. لا شكّ أنَّ المجتمع أصبح أكثر فهمًا وإدراكًا لكثير من المصطلحات والمفاهيم البيئية؛ مثل تغيّر المُناخ والاحتباس الحراري بفضل الإعلام والصحافة وأخبار البيئة والمؤتمرات الدولية. ولا شكَّ أنَّ هذا سيقودُ اتجاهًا تصاعديًّا مُعزَّزًا بالوعي والإدراك.

المصادر:

1 - أبو نواس، جمال (كانون الثاني 1995)، الزرقاء ومنطقتها في النصف الأول من القرن العشرين/ رسالة ماجستير قُدّمت لكلية الدراسات العليا في التاريخ بالجامعة الأردنية، موجودة ب(قسم الميكروفلم) لدى مكتبة الجامعة الأردنية.

2 - العمري، أيمن علي (2024)، دور المؤسسات الحكومية الأردنية وبلدية الزرقاء في معالجة القضايا البيئية لنهر الزرقاء، ورقة علمية مقدمة في مؤتمر الإسكان العربي الثامن على هامش الدورة (41) لمجلس وزراء الإسكان والتعمير العرب الموسوم بـ (العمران والبناء المستدام: تحديات وآمال واعدة) المنعقد في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية كانون أول/ ديسمبر – 2024 (غير منشورة).

3 - الموقع الإلكتروني لأهداف التنمية المستدامة (منظمة الأمم المتحدة) تاريخ الاطّلاع 30/01/2025

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals/